

أضواء البيان

@ 504 @ على قوله تعالى : { إِنْ زَنْهَهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى } . { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } . أسند الفلاح هنا إلى من تزكى وذكر اسم ربه صلى ، وفي غير هذه الآية أسند التزكية لمشئته □ في قوله : { وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَٰلِيكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا } ، وفي آية أخرى ، نهى عن تزكية النفس . .

وقد تقدم للشيخ بيان ذلك في سورة النور عند الكلام على قوله تعالى : { وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَٰلِيكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ } على أن زكى بمعنى تطهر من الشكر والمعاصي ، لا على أنه أخرج الزكاة ، والذي يظهر أن آية النجم إنما نهى فيها عن تزكية النفس لما فيه من امتداحها ، وقد لا يكون صحيحاً كما في سورة الحجرات { قَالَتِ الْأَعْرَابُ عَرَابٌ عَامَّةٌ قُلْ لَّيْسَ تَوْحِيدُكُمْ وَتَوَلُّواْ وَتَوَلَّوْاْ أَسْلَمْتُمْ } واللَّهِ تعالى أعلم . { بَلْ تُوْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى } . قرء : تؤثرن بالتاء وبالياء راجعاً إلى { الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } الدَّارَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّهِىَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَتَوَلَّوْاْ أَسْلَمْتُمْ } ، أي الحياة الدائمة . .

وقد جاءت آيات دالة على أسباب ذلك منها الجهل وعدم العلم بالحقائق ، كما في قوله تعالى : { وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَتَوَلَّوْاْ أَسْلَمْتُمْ } ، أي الحياة الدائمة . .

وقد روى القرطبي عن مالك بن دينار قوله : لو كانت الدنيا من ذهب يبنى ، والآخرة من خرف يبقى ، لكان الواجب أن يؤثر خرف يبقى على ذهب يبنى ، فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خرف يبنى ؟ .

ومن أسباب ذلك أن الدنيا زينت للناس وعجلت لهم كما في قوله : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ